المسلمين حينما دفنوا نبيهم في بيته وأنه هو الحامل لهم على ذلك فقد قالت بعد روايتها
الحديث السابق «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»: «يحذر ما صنعوا
ولولا ذلك لأبرز قبره ولكنه خشي أن يتخذ قبره مسجداً» وكذلك قال غير عائشة من أهل
العلم والعرفان. فالمسلمون إنما دفنوا نبيهم صلى الله عليه وسلم في حجرة عائشة خوفاً من
أن يتخذ قبره مسجداً وخوفاً من أن يصلى إليه وأن يطاف به ويعكف عليه لأنهم علموا أن الإسلام
ينكر ذلك أشد الإنكار ويأباه كل الإباء وعلموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يريده منهم ولا يريد
أن يفعلوه لأنهم وجدوه صلى الله عليه وسلم يبالغ في مذمة اليهود والنصارى إذ اتخذوا قبور
أنبيائهم وصالحيهم مساجد بل وجدوه في آخر لحظات حياته وفي مرضه الذي مات فيه وفي سكرات
الموت يلعن من اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وينهى عن اتخاذها مساجد وينوع المناهي ويعاودها
ويضعها بأساليب واضحة جلية صارمة - فراراً بأمته من هذه البدعة ونأياً بها عن هذه الورطة
التي تتابعت فيها الأمم الخالية وارتطمت فيها جميعاً فهلكت مع الهالكين وضلت مع الضالين.
فدفن الرسول عليه السلام في حجرة زوجه عائشة ثم إحاطة الحجرة بالجدران من البراهين على ما نذهب
إليه من تحريم اتخاذ القبور مساجد ومن الصلاة إليها والاتصال بها والعكوف عليها والطواف بها
إذ لولا أن أصحاب النبي عليه السلام كانوا يرون أن من الدين ومن الإسلام أن تبنى على القبور
مساجد وأن يصلى إليها وأن يطاف بها وأن يعكف عليها وأن يتمسح بها بأركانها لدفنوا نبيهم
صلى الله عليه وسلم في الخلاء والصحراء كما دفنوا أمواتهم، ولتركوه مباحاً للجميع مباحاً لكل من
أراد أن يذهب إليه وأن يطوف به ويصلي ويدعو ويتمسح عنده وأن يبني عليه ما شاء
من المساجد والقباب. ولكنهم علموا أن هذا كله منافٍ للإسلام والتوحيد ومنافٍ لما جاء به محمد صلى
الله عليه وسلم ثم وجدوا أن أوفى ضمانات لحذر هذا المحذور هو أن يجعلوا رفات رسولهم عليه
السلام في بيته وبيت زوجه. ولا ريب أن دفنه في بيته الخاص وبيت زوجه فوق أن
يكون من دفنه لا يريد وفقاً أن يصل إليه كل أحد من الناس وأن يعكفوا عليه ويطوفوا به ويتصلوا
به الاتصال الذي يدعو إليه هؤلاء ويقولون أنه واجب أن يكون نحو قبور الأموات من الأنبياء
والصالحين!: ويعتبر هنا يقال إنه لا بد للمسلمين من أحد أمرين لا ثالث لهما: أحد الأمرين أن
يفعلوا ما فعلوا ويدفنوا نبيهم في بيته. وثاني الأمرين أن يدفنوه عليه السلام كما دفنوا أعلام
المسلمين في الخلاء وفي المقابر العامة... أما الثاني فقد رأوا أن فيه مفاسد كبرى عديدة عظيمة
منها ما تقدم من عكوف الناس عليه وصلاتهم إليه واتخاذهم قبره مسجداً وطوافهم به
وملازمتهم له... وهذه أشياء كلها منكرة في دين الإسلام الذي عرفوه وفقهوه. فرأوا أنه
لا بد من اتقاء هذه المفاسد والمنكرات. ولهذا لما دخلت الحجرة التي دفن فيها صلى الله عليه
وسلم هو وصاحباه أحيطت بالجدران والحيطان مبالغة في إبعاد الناس عن الاتصال بالقبر والقرب
منه ومبالغة في تنحية الناس عن الصلاة إليه ولمسه وحكه وعن كل هذه الأشياء التي تفعل
اليوم وقبل اليوم حول قبور الصالحين بل وقبور الطالحين... وأما الأول - وهو دفنه
عليه السلام في بيته وبيت زوجه عائشة فقد وجدوا أن فيه الخلاص من دفنه في العراء
الذي فيه تلك المفاسد فكان دفنه في البيت لا بد منه ولا مفر وكان سراً حسناً وافقهم من
الدفن في الخلاء على كل حال وفرصة. ثم لما أن دفنوه في بيته كان أمامهم أمران لا ثالث
لهما: أما أن يهدموا البيت للالتقاء أن يقوم القبر بناء وإما أن يتركوه كما هو وكما
تركوه. أما الأول فلا يصح ولا يجوز لأنه أولاً بيت مملوك مسكون وليس مبنياً على القبر
بل من أجل ذلك شاء بدله فهو بل لأنه من هذه الناحية بائن منه معزول عنه، ولأنه
ثانياً لو هدمت الحجرة تماماً وكشفت القبر فكان بارزاً بادياً لجاء المحذور الذي قالت لهم